معهد الدين القيم

بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس القواعد المثلى

شرح الشيخ علي الرملي حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (23)

التاريخ: الخميس 01/ربيع الثاني/1441 هـ

28/ نوفمبر/2019 م

الدرس الثالث والعشرون من "القواعد المثلى"

يبدأ المؤلف الآن بخاتمة كتاب "**القواعد المثلى**"، وهي خاتمة نفيسة حقيقةً وفيها علمٌ يجب على كلّ طالب علم أن يتقنه؛ هي ردٌّ على بعض شبهات أهل البدع، وذكر للشروط والموانع للتبديع والتكفير والتفسيق.

قال المؤلف رحمه الله: (**الخاتمة: إذا قال قائل: قد عرفنا بطلان مذهب أهل التأويل في باب الصفات، ومن المعلوم أنّ الأشاعرة من أهل التأويل لأكثر الصفات**)

الأشاعرة: أتباع أبي الحسن الأشعري على ما كان عليه من مذهبٍ قديم، وهم من أهل التأويل، يعني: من الذين يحرّفون النصوص عن معانيها وينفون عن الله ما أثبت لنفسه من صفات.

قال: (**فكيف يكون مذهبهم باطلاً، وقد قيل إنّهم يُمثّلون اليوم خمسة وتسعين بالمائة من المسلمين؟**

وكيف يكون باطلاً وقدوتهم في ذلك أبو الحسن الأشعري؟

وكيف يكون باطلاً وفيهم فلان وفلان من العلماء المعروفين بالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم؟)

هذه ثلاث شبه ذكرها المؤلف رحمه الله يدندن بها بعض أهل الباطل؛ ليلبّسوا بها على أهل الحقّ، خلاصتها:

الاحتجاج بالكثرة، كيف يكون مذهبهم باطلاً وهم أكثر الناس في العصور المتأخرة فيما يزعم الزاعم؟ وكيف يكون باطلاً وقدوتهم في ذلك أبو الحسن الأشعري؟

يعني: قدوتهم رجل ممن تعظم مكانته في نفوس الكثيرين، وكيف يكون باطلاً وقد اتبع هذا المنهج بعض أهل العلم الذين عُرِفوا بخدمتهم لدين الله ومحبّتهم وتعظيمهم لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ كالنووي وكالحافظ ابن حجر، كيف يكون باطلاً وكل هذا فيه؟

اسمع إلى الجواب بارك الله فيك:

قال: (**قلنا: الجواب عن السؤال الأول: أنّنا لا نُسلم أن تكون نسبة الأشاعرة بهذا القدر**

بالنسبة لسائر فرق المسلمين)

يعني: إذا نظرت إلى فرق المسلمين كلّها وقارنتها بالأشاعرة حقيقةً، فالأشاعرة ليسوا بهذه النسبة المذكورة، فإنهم قالوا: 95% يعني: ما بقي من المسلمين إلّا 5%، إذاً الدعوى في البداية غير مسلّم بها.

قال: (فإنّ هذه دعوى تحتاج إلى إثبات عن طريق الإحصاء الدقيق)

وأنّى لهم ذلك؟ هذا غير متيسّر.

قال: (ثم لو سلّمنا أنّهم بهذا القدر أو أكثر)

أي: على التسليم بأنّ ما قالوه صحيح.

قال: (فإنّه لا يقتضي عصمتهم من الخطأ؛ لأنّ العصمة في إجماع المسلمين لا في الأكثر)

هذا هو الجواب: لو سلّمنا لكم بأنّ عدد الأشاعرة بين المسلمين بهذه النسبة، فهل يدلّ ذلك على أنّهم أهل حقّ لأنّهم الكثرة أو الأكثر؟ لا، فالكثرة لا تدلّ على حقّ ولا على باطل، خصوصاً بعد العصور الثلاثة الأولى؛ لأنّ النبي ﷺ أخبر أنّ الحقّ سيبقى هو الغالب وهو الأكثر في العصور الثلاثة الأولى في قوله عليه الصلاة والسلام: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"[1] ثلاث قرون، ثم ذمَّ القرون التي من بعد ذلك، الذّم يقع على الأغلب، إذاً الأغلب في الغالب سيكون ليس على الجادة، فإذاً موطن الاستدلال عندهم باطل، غير صحيح، بل الأمر بالعكس، الكثرة لا يُحتَجُّ بها أبداً بارك الله فيكم، يقول النبي ﷺ: "عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ"[2]، وأنت إذا قارنت بين كثير من دعوات الانبياء وبين من خالفهم، فإن من خالفهم يكون أكثر دائماً أو غالباً، فالكثرة لا يُحتَجُّ بها، أما لو أجمعوا، فعندئذٍ يمكن أن تقول ما قالوه؛ لأنّ العصمة قد ثبتت للإجماع أمّا الكثرة فلا.

قال: (ثم نقول: إنّ إجماع المسلمين قديماً ثابت على خلاف ما كان عليه أهل التأويل، فإنّ السلف الصالح من صدر هذه الأمّة، وهم الصحابة الذين هم خير القرون والتابعون لهم

1- أخرجه البخاري (2652)، ومسلم (2533) عن عبد الله بن مسعود

2- أخرجه البخاري (5705)، ومسلم (220) عن ابن عباس

بإحسان وأئمة الهدى من بعدهم، كانوا مجمعين على إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، وإجراء النصوص على ظاهرها اللائق بالله تعالى من غير: تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وهم خير القرون بنصّ الرسول ﷺ، وإجماعهم حجّة ملزمة: لأنّه مقتضى الكتاب والسّنة، وقد سبق نقل الإجماع عنهم في القاعدة الرابعة من قواعد نصوص الصفات)

إذاً فقد قلبوا الحقائق، فالصواب أنّ الحقّ مع القرون الثلاثة الأولى وأنّ منهجهم هو المنهج الحقّ، هذا ما ثبتت به الأدلة، ولم تثبت الأدلة أنّ الأكثر في العصور المتأخرة يكون الحقُّ معهم بل بالعكس، في الغالب يكون الباطل هو الذي معهم، وقد ذمّ الله سبحانه وتعالى أكثر الناس في مواطن كثيرة، فالكثرة لا تدلّ لا على حقّ ولا على باطل، إنّما الحقّ والباطل يُعرَف بالدليل وهو الكتاب والسّنة أو بالإجماع، هذه بالنسبة للشبهة الأولى.

أما الشبهة الثانية؛ فقال:

(والجواب عن السؤال الثاني: أنّ أبا الحسن الأشعري وغيره من أئمة المسلمين لا يدّعون لأنفسهم العصمة من الخطأ)

إذاً أبو الحسن الأشعري نفسه هل هو معصوم؟

ليس معصوماً، بشر يخطئ، إذاً مهما عظم الرّجل في نفسك فهو محل للخطأ، احفظ هذا جيداً، أي إنسان يعظُم في نفسك علماً وديانةً فهو معرّضٌ للخطأ إلّا النبي ﷺ؛ فإنّه لا يقع منه الخطأ في التشريع أبداً، نهائياً ولا يُقَرُّ على خطأ أبداً عليه الصلاة والسلام، فهو المعصوم؛ لذلك قوله حجّة، أمّا بقية البشر فأقوالهم ليست بحجّة، هم بشر يخطئون ويصيبون مهما عظموا، ومهما جلّوا في نفسك.

قال: (بل لم ينالوا الإمامة في الدين إلّا حين عرفوا قدر أنفسهم، ونزّلوها منزلتها، وكان في قلوبهم من تعظيم الكتاب والسّنة ما استحقوا به أن يكونوا أئمة)

هذا أمر مهم: متى يكون إماماً الشخص في الدين؟ ومتى يعظُمُ في نفوس المسلمين؟ ومتى تكون لكلمته مكانة في نفوس الناس؟ متى يحصل هذا؟

قال: (**قال الله تعالى:** ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[1]).

﴿وجعلنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾ ماذا يفعلون؟

﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾:

- يُرشدون الناس إلى دين الله سبحانه وتعالى وإلى الحقّ وإلى الهداية،
- يدعون الناس إلى كتاب الله و سنّة الرسول ﷺ،
- يُعظّمون الكتاب والسّنة في أنفسهم،
- يُعظّمون الأدلة الشرعية،
- يُعظّمون أصحاب النّبي ﷺ ويعرفون أنّهم مهما بلغوا من العلم فلا يأتي علمهم أمام علم أصحاب النّبي ﷺ بشيء، فيتبعون ولا يبتدعون، هذا أمر مهم،

نحن أُمِرنا بالاتباع ولم نؤمر بالاختراع والابتداع، دائماً ضع هذا في رأسك، إيّاك أن تحاول أن تبحث عن الأقوال الشاذة والغريبة وتتبعها وأن تُحدث في دين الله وتظنّ نفسك أنّك بذلك تصير عالماً وتصير إماماً، أبداً، الإمامة تنالها بتعظيمك لشرع الله، تعظيمك لدين الله، عِظَم اتباعك لسنّة النبي ﷺ سبب عظيم لإمامتك في الدين، تأمل في الذين جعلهم الله أئمة في هذا المنهج، في هذا الدين، في هذه السّنة، تأمل حالهم واقرأ تراجمهم تجدهم أئمة في العلم، أئمة في الدين، في التقوى، أئمة في الاتباع، يحرصون كلّ الحرص على اتباع النبي ﷺ وعلى اتباع منهج السلف الصالح رضي الله عنهم، هكذا يكون المرء إماماً في دين الله.

ثم: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾، فلا بدّ من الصبر، الصبر على كلّ ما يمرُّ بك، الصبر على الأذى الذي ينالك في دعوتك إلى الله سبحانه وتعالى، الأذى لا بدّ منه في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، لا بدّ أن تؤذى، تحتاج أن تصبر،

وكذلك الصبر على طاعة الله وعلى اتّباع النبي ﷺ،

الصبر على ترك المحرّمات وعدم الاغترار بما يحصل حولك من أهل الفسق والفجور، ولا تغرّك الدنيا بملذّاتها وحلاوتها وفتنتها، كلّ هذا تحصل به الإمامة في الدين.

1- [السجدة:24]

﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ يقين بشرع الله سبحانه وتعالى، إيمان، تقوى، صلاح، كلّ هذا إذا اجتمع في الإنسان صار الإنسان إماماً في الدين، فمتى جعلهم الله هؤلاء أئمة؟

لمّا كانوا موقنين بشرع الله، معظمين لكتاب الله ولسنّة رسول الله ﷺ، لا يخرجون عنها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

قال: (**وقال عن إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم﴾**[1])

﴿إنّ إبراهيم كان أمة﴾ يعني كان إماماً،

﴿قانتاً لله﴾ يعني كان مطيعاً لله سبحانه وتعالى،

﴿حنيفاً﴾ مائلاً عن الشرك، كان على استقامة على التوحيد،

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِراً لأَنْعُمِهِ﴾ يشكر الله سبحانه وتعالى على نعمه وذلك بتسخير هذه النعم في طاعة الله سبحانه وتعالى،

﴿اجْتَبَاهُ﴾ يعني: اصطفاه الله سبحانه وتعالى،

﴿وَهَدَاهُ﴾ يعني: وفّقه الله سبحانه وتعالى،

﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ إلى الطريق الحقّ الذي يحبّه الله ويرضاه، هذه صفة الإمام الذي يُقتدى به، يعظّم شرع الله ودين الله ويستقيم عليه.

قال: (**ثم إنّ هؤلاء المتأخرين الذين ينتسبون إليه لم يقتدوا به الاقتداء الذي ينبغي أن يكونوا عليه، وذلك أن أبا الحسن كان له مراحل ثلاث في العقيدة**)

إذاً الجواب الأول على هذه الشبهة: أنّ أبا الحسن الأشعري ليس معصوماً.

الجواب الثاني: أنّ أبا الحسن الأشعري قد ترك ما أنتم عليه الآن من مذهب التأويل، فأبو الحسن الأشعري مرّ بثلاث مراحل في العقيدة كما سيذكرها المؤلف رحمه الله.

1- [النحل:120-121]

قال: (**المرحلة الأولى: مرحلة الاعتزال، اعتنق مذهبَ المعتزلة أربعين عاماً، يقرره ويناظر عليه، ثم رجع عنه، وصرّح بتضليل المعتزلة، وبالغ في الرّد عليهم**)

أي أنّه أول ما بدأ عقيدته رحمه الله كان في الاعتزال، هذه هي المرحلة الأولى.

المعتزلة الذين ينفون عن الله سبحانه وتعالى الصفات كلّها ويثبتون له الأسماء فقط، كان زوج أمّه معتزلياً وتربّى عنده وأخذ عنه الاعتزال.

والأصل العظيم عند المعتزلة والجهمية وغيرهم هو تقديم العقل على النقل والحكم على الله سبحانه وتعالى بالعقل، فما أثبته العقل عندهم أثبتوه وما نفاه العقل نفوه؛ لذلك نفوا جميع الصفات، قالوا: لأنّها يلزم منها التشبيه.

قال: (**المرحلة الثانية: مرحلةٌ بين الاعتزال المحضّ والسّنة المحضّة، سلك فيها طريق أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلّاب**)

ابن كلاب هذا قد اخترع مذهباً هو قريب جداً من مذهب الأشاعرة الذي كانوا عليه، وهو مذهب بين المذهبين، بين مذهب المعتزلة ومذهب أهل السّنة والجماعة في صفات الله سبحانه وتعالى، فأثبتَ بعض الصفات ونفى البعض الآخر، لكنّ الأصل واحد بارك الله فيكم، ركّزوا على هذا، الأصل الذي بنى عليه الكُلّابية والأشاعرة قولهم هو أصل واحد مع المعتزلة والأشاعرة، وهو تقديم العقل على النقل؛ لذلك من الباطل ومن أعظم الباطل أن يُقال: إنّ الأشاعرة من أهل السّنة والجماعة، أبداً، كيف يكونون من أهل السّنة والجماعة وليس في نفوسهم من تعظيم السّنة وتقديمها على كلّ شيء ما في نفوس أهل السّنة والجماعة، وما يجب أن يكون في نفس المرء حتى يكون سنّيّاً، بل هم عقلانيون متكلمون لا يصحّ أن يُقال بأنّهم من أهل السّنة؛ لأنّهم يقررون العقيدة بالكلام، ويقررون العقيدة بالعقل، إذاً هذه تسميتهم الحقيقية، إذاً فالأشاعرة والمعتزلة والجهمية على أصل واحد.

فأبو الحسن الأشعري عندما ترك الاعتزال ترك تفريعات المعتزلة على أصلهم، ولكنّه لم يترك الأصل وهو تقديم العقل على النقل.

قال: (**قال شيخ الإسلام ابن تيميه (ص 471) من المجلد السادس عشر من "مجموع الفتاوى" لابن قاسم: "**

والأشعري وأمثاله برزخ بين السّلف والجهمية، أخذوا من هؤلاء كلاما صحيحاً، ومن هؤلاء أصولاً عقلية، ظنّوها صحيحة وهي فاسدة أ.هـ)

برزخ: يعني في الوسط ما بين السّلف والجهمية وفاصل بين السّلف والجهمية.

لاحظ قوله: "أخذوا من هؤلاء كلاماً صحيحاً، ومن هؤلاء أصولاً عقلية ظنّوها صحيحةً، وهي فاسدة"،

فهذه المرحلة الثانية هي التي اخترع فيها أبو الحسن الأشعري مذهب الأشاعرة الذي هم عليه الآن.

ثم إن أبا الحسن الأشعري تراجع عن هذا القول.

قال: (المرحلة الثالثة: مرحلة اعتناق مذهب أهل السّنة والحديث، مقتدياً بالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، كما قرّره في كتابه: "الإبانة عن أصول الديانة"، وهو من آخر كتبه أو آخرها)

وكذلك كتاب: "**مقالات الإسلاميين**"، قرّر فيه عقيدة أهل السّنة والجماعة،

وكذلك: "**رسالة إلى أهل الثغر**"، هذه الكتب الأخيرة التي ألّفها قبل موته رحمه الله، طبعاً والأشاعرة يقولون لك: بعض الكتب هذه مكذوبة ويتأولون في بعض الكتب،

المهم لا يريدونها؛ لأنّهم لا يريدون الحقّ، فصرفوا هذه الكتب، حتى نسبتها لأبي الحسن الأشعري ما عادوا يعترفون بها؛ لأنّهم يريدون التخلص منها بأي طريقة، هذه هي طريقتهم.

قال: (قال في مقدمته: "جاءنا- يعني النبي ﷺ - بكتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، جمع فيه علم الأولين، وأكمل به الفرائض والدين، فهو صراط الله المستقيم، وحبله المتين، من تمسك به نجا، ومن خالفه ضلّ وغوى، وفي الجهل تردى، وحثّ الله في كتابه على التمسك بسنّة رسوله ﷺ ، فقال عزّوجلّ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[1].

1- [الحشر:7]

إلى أن قال: "فأمرهم بطاعة رسوله كما أمرهم بطاعته، ودعاهم إلى التمسك بسنّة نبيه ﷺ كما أمرهم بالعمل بكتابه، فنبذ كثير ممن غلبت شقوته، واستحوذ عليهم الشيطان، سنن نبي الله ﷺ وراء ظهورهم، وعدلوا إلى أسلاف لهم قلّدوهم بدينهم، ودانوا بديانتهم، وأبطلوا سنن رسول الله ﷺ، ورفضوها، وأنكروها وجحدوها افتراء منهم على الله، قد ضلوا وما كانوا مهتدين".

ثم ذكر رحمه الله أصولاً من أصول المبتدعة وأشار إلى بطلانها ثم قال:

"فان قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرّفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون)

الحرورية هم الخوارج

قال: (قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عزّ وجلّ وبسنّة نبينا ﷺ، وما رُوي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون)

لاحظ هنا كيف صار التأصيل تأصيلاً سنّيّاً.

قال: (وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل- نضّر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته- قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون؛ لأنّه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل".

ثم أثنى عليه بما أظهر الله على يدّه من الحقّ، وذكر ثبوت الصفات، ومسائل في القدر، والشفاعة، وبعض السمعيات، وقرّر ذلك بالأدلة النقلية والعقلية.

والمتأخرون الذين ينتسبون إليه أخذوا بالمرحلة الثانية من مراحل عقيدته، والتزموا طريق التأويل في عامة الصفات، ولم يثبتوا إلّا الصفات السبع المذكورة في هذا البيت :

حيٌّ عليمٌ قديرٌ والكلامُ له إرادةٌ وكذاكَ السمعُ والبصرُ

على خلاف بينهم وبين أهل السّنة في كيفية إثباتها.

ولمّا ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ما قيل في شأن الأشعرية (ص: 359) من المجلد السادس من "مجموع الفتاوى" لابن قاسم قال:

"ومرادهم الأشعرية الذين ينفون الصفات الخبرية، وأمّا من قال منهم بكتاب "الإبانة" الذي صنّفه الأشعري في آخر عمره، ولم يظهر مقالة تناقض ذلك، فهذا يُعدّ من أهل السّنة".

وقال قبل ذلك في (ص: 310):

"وأمّا الأشعرية فعكس هؤلاء، وقولهم يستلزم التعطيل، وأنّه لا داخل العالم ولا خارجه، وكلامه معنى واحد، ومعنى آية الكرسي وآية الدَّين والتوراة والإنجيل واحد، وهذا معلوم الفسادبالضرورة"أ.هـ.

وقال تلميذه ابن القيم في "النونية" (ص: 312) من شرح الهرّاس، ط الإمام:

"واعلمْ بأنَّ طريقهمْ عَكْسُ ال ... طريقِ المُسْتَقيمِ لمنْ له عينانِ"

إلى أن قال:

فاعجبْ لعميانِ البصائرِ أبصروا ... كونَ المُقَلَّد صاحبَ البُرْهانِ
ورأوه بالتقليدِ أولى من سوا ... هُ بغير ما بصرٍ ولا برهانِ
وعموا عن الوحيين إذ لم يفهموا ... معناهما عجباً لذي الحرمان

وقال الشيخ محمد أمين الشنقيطي في تفسيره "أضواء البيان" (ص: 319، ج 2) على تفسير آية استواء الله تعالى على عرشه التي في سورة الأعراف:

"اعلم أنّه غلط في هذا خلق لا يحصى كثرة من المتأخرين، فزعموا أنّ الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من معنى الاستواء واليد مثلاً في الآيات القرآنية هو مشابهة صفات الحوادث وقالوا: يجب علينا أن نصرفه عن ظاهره إجماعاً".

قال: "ولا يخفى على أدنى عاقل أنّ حقيقة معنى هذا القول: أنّ الله وصف نفسه في كتابه بما ظاهره المتبادر منه السابق إلى الفهم الكفر بالله تعالى، والقول فيه بما لا يليق به جلّ وعلا، والنبي ﷺ الذي قيل له: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ}[1] لم يبين حرفاً واحداً من ذلك، مع إجماع من يُعتَدُّ به من العلماء على أنّه ﷺ لا يجوز في حقّه تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه، وأحرى في العقائد، لا سيّما ما ظاهره المتبادر منه الكفر والضلال المبين، حتى جاء هؤلاء الجهلة من المتأخرين فزعموا أنّ الله أطلق على نفسه الوصف بما ظاهره المتبادر منه لا يليق، والنبي ﷺ كتم أنّ ذلك الظاهر المتبادر كفر وضلال يجب صرف

1- [النحل:44]

اللفظ عنه، وكلّ هذا من تلقاء أنفسهم، من غير اعتماد على كتاب أو سنّة، سبحانك هذا بهتان عظيم، ولا يخفى أنّ هذا القول من أكبر الضلال، ومن أعظم الافتراء على الله جلّ وعلا ورسوله ﷺ.

والحقّ الذي لا يشكّ فيه أدنى عاقل أنّ كلّ وصفٍ وَصَفَ الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، فالظاهر المتبادر منه السابق إلى فهم من في قلبه شيء من الإيمان: هو التنزيه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث".

قال: "وهل ينكر عاقل أنّ السابق إلى الفهم المتبادر لكلّ عاقل هو منافاة الخالق للمخلوق في ذاته وجميع صفاته؟ لا، والله لا ينكر ذلك إلّا مكابر.

والجاهل المفتري الذي يزعم أنّ ظاهر آيات الصفات لا يليق بالله لأنّه كفر وتشبيه، إنّما جرّ إليه ذلك تنجيس قلبه بقذر التشبيه بين الخالق والمخلوق، فأدَّاه شؤم التشبيه إلى نفي صفات الله جلّ وعلا، وعدم الإيمان بها، مع أنّه جلّ وعلا هو الذي وصف بها نفسه، فكان هذا الجاهل مشبهاً أولاً، ومعطلاً ثانياً، فارتكب ما لا يليق بالله ابتداء وانتهاء، ولو كان قلبه عارفاً بالله كما ينبغي، معظماً لله كما ينبغي، طاهرًا من أقذار التشبيه؛ لكان المتبادر عنده السابق إلى فهمه أنّ وصف الله تعالى بالغ من الكمال والجلال، ما يقطع أوهام علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون قلبه مستعداً للإيمان بصفات الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن والسّنة الصحيحة، مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق، على نحو قوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}" أ.هـ كلامه رحمه الله)

كلّ هذا الذي ذكره الشيخ هو ما قرّرناه في السابق، بنفس المعنى، وهو كلام متين وجميل جداً وردٌّ مُفْحِمٌ وقاطع على ما يقوله أولئك القوم.

قال المؤلف رحمه الله: (والأشعري أبو الحسن رحمه الله كان في آخر عمره على مذهب أهل السّنة والحديث، وهو إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، ومذهب الإنسان ما قاله أخيراً إذا صرّح بحصر

قوله فيه، كما هي الحال في أبي الحسن، كما يُعلمُ من كلامه في "الإبانة"، وعلى هذا: فتمام تقليده اتباع ما كان عليه أخيراً، وهو التزام مذهب أهل الحديث والسّنة؛ لأنّه المذهب الصحيح الواجب الاتباع، الذي التزم به أبو الحسن نفسه)

يعني: من لابدّ له من أن يقلد أبا الحسن؛ فليقلده في مذهبه الأخير، ولا يُعرِض عن الحقّ ويقلده فيما أخطأ فيه، واعترف هو بخطئه، ورجع عنه.

إذاً خلاصة الأمر:

- أنّ أبا الحسن الأشعري رحمه الله ليس معصوماً عن الخطأ هذا الأمر الأول.
- الأمر الثاني: أنّه قد تراجع عن هذا المذهب الباطل الذي أنتم عليه، وبهذا تزول الشبهة الثانية.
- وأمّا الجواب على الشبهة الثالثة، وهو أنّ من أتباع الأشعرية، أو ما كان عليه أبو الحسن الأشعري من مذهب باطل علماء عُرِفُوا بالنصح لكتاب الله ولسنّة الرسول ﷺ وعُرفوا بتعظيمهم لشريعة الله وبخدمة دين الله سنين طويلة: كالنووي مثلاً ومن شابهه؛

قال المؤلف رحمه الله:

(والجواب عن السؤال الثالث من وجهين: الأول: أنّ الحقّ لا يوزن بالرجال)

هذا هو الوجه الأول: الحقّ لا يُعرف بالرّجال، إنّما يعرف الحقّ بالكتاب والسّنة وبما كان عليه السّلف الصالح رضي الله عنهم؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى قد أمرنا باتباعهم، والأخذ بما كانوا عليه، ليس الواحد والاثنين، وإنّما الذي كان عليه المنهج العام عند أولئك الأئمة، هذا هو المنهج الذي أُمرنا باتباعه، وأُمرنا أن نكون عليه.

والحقّ لا يوزن بالرجال، يعني: لا يمكن أن تحكم على الحقّ بالرّجل إنّما الرّجل هو الذي تحكم

عليه بناءً على الحقّ، أهو صاحب حقٍّ أم هو صاحب باطلٍ.

قال: (وإنّما يُوزن الرّجال بالحقّ، هذا هو الميزان الصحيح)

ليس العكس، الكثير من الناس اليوم قلبوا، وجعلوا الحقّ يُعرف بالرّجال فقط، هذا باطل، الرّجل بشر يخطئ ويصيب، ويكون على الحقّ ويكون على الباطل، فأولاً: أنت لا تدري أمن أصحاب الأهواء هو أم من أصحاب طلبة الحقّ، ثانياً: إن كان ممن يطلبون الحقّ، هل أصاب الحقّ أم أخطأه، إذاً لا يوزن الحقّ بالرّجال أبداً.

قال: (وإن كان لمقامِ الرجال ومراتبهم أثرٌ في قَبول أقوالهم، كما نقبل خبر العدل، ونتوقف في خبر الفاسق، لكن ليس هذا هو الميزان في كلّ حال؛ فإنّ الإنسان بشر، يفوته من كمال العلم وقوة الفهم ما يفوته، فقد يكون الرجل ديّناً وذا خلق ولكن يكون ناقص العلم أو ضعيف الفهم، فيفوته من الصواب بقدر ما حصل له من النقص والضعف، أو يكون قد نشأ على طريق معين، أو مذهب معين)

يعني: كما حصل مع النووي رحمه الله.

قال: (لا يكاد يعرف غيره فيظن أنّ الصواب منحصر فيه، ونحو ذلك.

الثاني: أنّنا إذا قابلنا الرّجال الذين على طريق الأشاعرة بالرجال الذين هم على طريق السّلف، وجدنا في هذه الطريق من هم أجَلُّ وأعظم وأهدى وأقوّم من الذين على طريق الأشاعرة)

أي: إذا أردت أن تقارن بهذه الطريقة فقارن بهذا الأسلوب، وإن وُجِدَ النووي مع الأشاعرة، فإنّ مع أهل السنة مالكاً مثلاً، والشافعي الذي يتبعه النووي، هو أجلُّ وأعظم من النووي، فلماذا إذاً لا تنظر إلى المسألة بهذه الطريقة.

قال: (فالأئمة الأربعة أصحاب المذهب المتبوعة ليسوا على طريق الأشاعرة.

وإذا ارتقيت إلى من فوقهم من التابعين لم تجدهم على طريق الأشاعرة.

وإذا علوت إلى عصر الصحابة والخلفاء الأربعة الراشدين، لم تجد فيهم من حذا حذو الأشاعرة في أسماء الله تعالى وصفاته، وغيرهما مما خرج به الأشاعرة عن طريق السلف.

ونحن لا ننكر أنّ لبعض العلماء المنتسبين إلى الأشعري قَدَمَ صدقٍ في الإسلام، والذّب عنه، والعناية بكتاب الله تعالى وبسنّة رسوله ﷺ رواية ودراية، والحرص على نفع المسلمين وهدايتهم، ولكن هذا لا يستلزم عصمتهم من الخطأ فيما أخطأوا فيه، ولا قبول قولهم في كلّ ما قالوه، ولا يمنع من بيان خطئهم وردّه، لما في ذلك من بيان الحقّ وهداية الخلق).

لكن لا نتبعهم في باطلهم وإن كانوا قد عظُموا في أنفسنا بسبب حبّهم وتعظيمهم لشريعة الله، وحرصهم على اتباع هدي النبي ﷺ، واغتَرّوا بما كان عليه علماءهم وأئمتهم في وقتهم واتبعوهم فيما هم فيه من الباطل، وإن كان هذا هو الحاصل لكننا ننكر ما كانوا عليه، ونبين للناس الباطل الذي هم عليه، ونبين للناس أنّهم لا يُتَبَعون في مثل هذا.

قال: (ولا ننُكر أيضاً أنّ لبعضهم قصداً حسناً فيما ذهب إليه، وخَفِيَ عليه الحقّ فيه، ولكن لا يكفي لقبول القول حسن قصد قائله، بل لا بدّ أن يكون موافقاً لشريعة الله عزّوجلّ)

لا تأتي وتقول لي: والله فلان نيّته طيبة، نيّته بينه وبين الله سبحانه وتعالى، هذه لا تكفي حتى لو سلّمنا لك بأنّ نيّته طيبة، هو مأمور باتباع الشريعة، مأمور باتباع السلف، مأمور بأن يأخذ بما كان عليه النبي ﷺ والصحابة، وإذا ترك ذلك فقد قصّر، ويُلام على تقصيره ذاك، مع حسن نيته.

قال: (فإن كان مخالفا لها وجب ردّه على قائله كائنا من كان، لقول النبي ﷺ: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ".

ثم إن كان قائله معروفاً بالنصيحة والصدق في طلب الحقّ، اعتذر عنه في هذه المخالفة،

وإلّا عومل بما يستحقه بسوء قصده ومخالفته)

لاحظ هنا قوله: (ثم إن كان قائله معروفاً بالنصيحة والصدق في طلب الحقّ، اعتُذِرعنه في هذه المخالفة)

طبعاً يُلَبِّس بعض أهل الباطل حالياً بأنّهم يدَّعون في صاحبهم وإمامهم هذه الدعوة، يقولون لك: هو من هذا القبيل.

عندما نجد له عملاً كعمل الحافظ ابن حجر من كتب عظيمة، خدمة لدين الله سبحانه وتعالى، لا يستغني عنها طالب علم اليوم من طلبة الحديث عندئذٍ نقول: والله هذا من هذا القبيل، لكن إذا عُرِفَ بانصرافه إلى الدنيا وانشغاله بها وحبّه لها وحبّه لجمع المال وحبّه للتمتع بها، فلا يُقال في مثل هذا بأنّه على هذا الوصف الذي ذكره الشيخ هنا، حتى وإن عمل أعمالاً هي مشتركة بين خدمة دين الله وجمع المال، هذا لا يُثبت لنا أنه كما كان الحافظ ابن حجر وغيره،

فيجب التفريق بارك الله فيكم، ولا تُلبّسوا على البشر، وعلى خلق الله سبحانه وتعالى، ولا يتلبس عليكم الأمر فيخدعوكم بمثل هذا الكلام.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁.